

- ١٢٢ -

فكان ديكرت يفصل بين عالم المادة وعالم الروح ، ويرجع بقوانين الكون الحسى إلى المادة والحركة ، ولكنه يعزل عالم الروح عن سلطان هذه القوانين .

وكان نيوتن يفسر حركات الأفلاك بقانون الجاذبية وبعض قوانين الحركة ولكنه يسمي الجاذبية نفسها روحا spirit تسرى بين الأجرام سريان الأرواح الخفية ، وإن كانت لها آثار تغدر وتقاس .

ولما ظهر علم النفس على النهج الحديث لم يحسم هذا الخلاف بين الجبر والحرية الإنسانية .

فالقائلون بالمادة وحدها قالوا : إن أعمال الإنسان كلها آلية يستطيع تفسيرها بالتفاعل بين وظائف البدن وأخطائه ، ولا فرق في أساس هذا التفسير بين تصرف الإنسان وتصرف الحيوان .

والقائلون بالعقل أنكروا إمكان تفسير الظواهر العقلية كلها بالحركات الآلية التي تعمل في الأجسام ، وقالوا بحرية العقل أو بحرية الإرادة الإنسانية في كثير من الأعمال .

وحلت الحتمية الحديثة Determinism محل الجبرية القديمة Fatalism في اصطلاح العلماء .

فالقائلون بالحتمية يقولون بها لأنهم يؤمنون بالنظم الآلية وحدها ولا يؤمنون بارادة إلهية تتعرض لتلك النظم بالتبديل والتحويل .

ومن ثم أصبح القول بالحتمية مناقضا للقول بالجبرية في كلام علماء الأديان . لأن الجبرية تحصر الإرادة كلها في الإله المعبود . أما الحتمية فهي الأقل لا تستلزم وجود إله إلى جانب القوانين التي يفسرون بها حركات الوجود .

وتعاقبت الكشوف في ميادين العلوم الطبيعية وكل منها يرجع إلى قانون يزعم أصحابه أنه ضالغ لتفسير كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة بغير حاجة